

إسهامات الطرق الصوفية في المقاومة العسكرية ضد الاستعمار

الفرنسي خلال القرن 19 " الطريقة الشيعية أنموذجاً "

Contributions of Sufi Orders to the Military Resistance against
the French Colonialism during the 19th century

Case-study: "The Sheikhi Order"

فاطمة حباش ♦ جامعة ابن خلدون-تيارت

Fatima_hab@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2025/02/08 تاريخ القبول: 2025/06/01 تاريخ النشر: 2025/06/30

الملخص:

قابل الاحتلال الفرنسي للجزائر وبشكل موازي رد فعل للجزائريين تجسد أساساً في رفضهم لهذا التواجد، محاولين التعبير عنه في إطار نضال وطني دام طويلاً وبأنماط مختلفة، منها المقاومة العسكرية التي ميزته خلال القرن 19، قادتها زعامات سياسية ودينية من زعماء القبائل، وشيوخ الزوايا والمرابطين، اتخذوا من الجهاد شعاراً لنصرة الوطن والدين الإسلامي، وتحت رعاية صوفية من خلال الطرق الصوفية المنتشرة آنذاك بالجزائر، وكان لها تأثير قوي على المجتمع الجزائري.

ولعل من بين هذه الطرق الدينية التي برزت بدور ريادي وقوي في النضال الوطني ضد الاستعمار الفرنسي نجد الطريقة الشيعية سليلة زعيمها الروحي ومؤسسها عبد القادر بوسماحة، والذي استطاع بمكانته الدينية والعلمية يحدث تحولاً قوياً في منطقة الجنوب الغربي، خاصة بعد تأسيسه طريقته الصوفية " الشيعية"، والذي حاول أن يعطيها بعداً دينياً وسياسياً من خلال مسألة الجهاد ضد أعداء الإسلام.

وفعلاً برز هذا مبدأ الجهاد عند الطريقة الشيعية في العديد من الفترات التاريخية منها على العهد العثماني عندما شارك شيوخها ضد الغزو الإسباني، واستمر هذا الموقف إبان الاحتلال الفرنسي، بتولي دور ريادي في المقاومة العسكرية خلال القرن 19، وفي فترات مختلفة، ميزه تباين الدور من قيادة وإعلان ثورات شعبية، إلى دور الدعم ومساندة ثورات أخرى قامت باسم طريقة صوفية أخرى حملت نفس الهدف والموقف كالقادرية مع الأمير عبد القادر السنوسية وغيرها...إلخ.

الكلمات المفتاحية:

♦ المؤلف المرسل

الطريقة الشيخية ؛ الجنوب الغربي ؛ أولاد سيدي الشيخ ؛ المقاومة ؛ الاستعمار الفرنسي .

Abstract

The French Occupation of Algeria was met with a parallel reaction from the Algerians, which was mainly embodied in their rejection of this colonizer 's presence. They expressed it in various forms of struggling for a long time , including the military resistance that characterized it during the 19th century. It was led by political and religious leaders from tribal leaders, Sheikhs of the Zawiyas and the Marabouts, who adopted Jihad as a slogan to support their homeland and the Islamic Religion. Moreover, the resistance was guided by the Sufism which was widespread at that time in Algeria.

Among those religious orders, we state the Sheikhiya Order that played a significant role in the National Struggle, due to the efforts of its spiritual leader and founder, Abdelkader Bousmaha, who was able, through his religious and scientific status, to bring about a strong transformation in the southwestern region, especially after establishing his Sufi order, "Sheikhiya".

In fact, this order was based on the jihad which was appeared and emerged in many historical periods, including the Ottoman Era when its Sheikhs participated against the Spanish Invasion. This position continued during the French Occupation, assuming a leading role in military resistance during the 19th century and other periods. This leadership was also characterized by various roles from leading and declaring Popular Revolutions, respectively, to the role of supporting other revolutions carried out in the name of another Sufi order that carried the same goal and position such as the Qadiriyya with Emir Abdelkader and the Senussiyya and others... etc.

Keywords: Sheikhiya way, Southwest, Ouled Sidi Sheikh, Resistance, French colonialism

المقدمة:

اقترب الوجود الفرنسي منذ الإنزال الأول على مدينة الجزائر برفض مطلق وتام ، ممثلاً سواء في موقف السلطة المركزية ، أو في موقف السكان بالمدن والأرياف ، وتجسد ذلك على أرض الواقع في عمليات عسكرية ومواجهات أولاً على يد جيش الإيالة ، ليستمر بعد ذلك ومع عجز السلطة المركزية ، واستسلام الداي حسين على يد جماهير شعبية ،

ويتحول النضال من رسمي إلى شعبي ، قادته زعامات شعبية من زعماء القبائل ، وشيوخ الزوايا والمرابطين مجسدين تأثير عامل النفوذ السياسي والديني في توحيد الجزائريين وتثبيتهم على رأيهم الأول والنهائي " رفض الوجود الفرنسي وسلطته غير الشرعية " ، والإصرار على التخلص منه نصرة للوطن والدين والهوية الإسلامية¹.

وعندما نتصفح مسار النضال الجزائري خلال القرن 19 نلمس فعليا تأثير العامل الديني على المقاومة العسكرية ، فبالرغم من بعض الثورات اندلعت على يد قيادات سياسية من شيوخ القبائل إلا أن انتشارها كان بفضل القيادات الدينية سواء الأشراف أو المرابطين ، مضافا إليها الثورات الشعبية التي اندلعت على فترات متواترة وبمناطق جغرافية مختلفة بزعامة شخصيات دينية أخذت من شعار " الجهاد " مبدءا في نضالها ضد الاحتلال ، كما ادعت من الانتماء الشريف ، والمهداوية ، ومولى الساعة للتأثير على السكان ودعوتهم للجهاد².

وفي خضم هذا التأثير الديني هناك من اعتمد في النضال على المرابطين والانتماء إلى الطرق الصوفية ، بحيث اندلعت ثورات تحت وصاية وراية الطرق الصوفية ، والأمر هنا طبيعي كون المناخ والجو العام ساعد على ذلك لأن التصوف كان منتشرا بشمال إفريقيا ، والجزائر منذ القرن 16 ، ولقد كان لزعماء الطرق الصوفية تأثير في القرار السياسي على العهد العثماني ، وغالبا ما كانت السلطة الرسمية تسعى لكسب ودهم ، والتقرب منهم ، حتى تأمن خطرهم ، والأكثر من ذلك جعلهم وسيطا بينها وبين السكان والرعية³ ، وتواصل هذا الوضع خلال فترة الاحتلال الفرنسي بتوليهم أدوارا سياسية منها قيادة المقاومة العسكرية ضد السلطة الاستعمارية ، وفي مقدمة هذه الطرق نجد: الطريقة القادرية ، الشاذلية ، السنوسية الدرقاوية ، والتي أعلنت الثورات في فترات مختلفة⁴.

1- عبد السلام فيلاي. الجزائر " الدولة والمجتمع " . دار الوسام العربي. الجزائر. 2013. 119.

2- نفسه. ص 119

3- نفسه. ص ص 95-96.

4- من بين الثورات التي قامت باسم القادرية نجد مقاومة الأمير عبد القادر (1832_1847) ، وثورة الزعاطشة 1849 ، أما باسم الطريقة الشاذلية وحتى الدرقاوية نجد ثورة الشريف بومعزة بمنطقة الظهرة (1845-1847) ، بينما مع السنوسية نجد ثورة الشريف محمد بن عبدالله بورقلة (1851_1861) ، نهيك عن الرحمانية فجعل مقاومة القبائل كان تحت لوائها كثورة الشريف بوبغلة (1851_1854) ، وفاطمة نسومر (1854_1857) ، وثورة 1871 بقيادة المقراني والحداد.

وإلى جانب هذه الطرق نجد الطريقة الشيخية التي كانت لها بصمة في المقاومة العسكرية في النصف الثاني من القرن 19، بالجنوب الجزائري، ولإبراز ذلك حاولنا الانطلاق من إشكالية مفادها: " إلى أي مدى ساهم التأثير الديني للطريقة الشيخية في النضال ضد الاستعمار الفرنسي؟ ، فيما تمثلت مظاهر ومعالم دور الطريقة في المقاومة العسكرية خلال القرن 19؟ ، ما هي أهم خصوصيات ومميزات الدور النضالي لها؟ ، ماذا كان موقف السلطة منها ومن مرابطيها ، وما مصير زواياها؟"

وعالجنا هذه الإشكالية وفق المنهج التاريخي ، وبخطة علمية مكنتنا من استخراج خصوصيات الطريقة الشيخية في المقاومة العسكرية ، وشملت ثلاث عناصر:

__ نشأة الطريقة الشيخية وأهم أتباعها.

__ ثورات الطريقة الشيخية بالجنوب الغربي

__ دعم ومساندة الطريقة الشيخية للمقاومات الشعبية

1_ نشأة الطريقة الشيخية وأهم أتباعها:

ارتبطت الطريقة الشيخية كطريقة دينية بعائلة أولاد سيدي الشيخ ، والتي تعود جذورها إلى منطقة الحجاز منتسبة إلى الخليفة أبو بكر الصديق ، هاجرت من شبه الجزيرة العربية متخذة وجهتها نحو الغرب ، فاستقرت في البداية ومؤقتا بمصر ثم انتقلت إلى تونس ، أين اشتهرت هناك بلقب " عائلة البوبكرين " ، حضت بمكانة سياسية ودينية مرموقة مكنتها من اعتلاء عدة مناصب حكومية عليا⁵، لكن كان ذلك مؤقتا ، للمرة الثانية شدد رحالها مرة أخرى بقيادة الجد سي معمر بلعالية نحو الجزائر ، فاستقرت ببلاد بني عامر واستقروا تحديدا بواد قليته⁶ وأسسوا قصورا منها الأربوات الفوقاني والتحتاني⁷، كما

5 - Louis Rinn. Marabouts et Khouans. Adolph Jourdan. Alger. 1884. P351.

- Dépont Octave et Coppolani Xavier. Les confréries religieuses musulmans. Adolph Jourdan. Alger. 1897. P439.

6 - Marth et Gouvion Edmand. Kitabs Ayane el maraghariba. Imprimerie Orientale Fantana. ALger. 1920. P190./ _ Louis Rinn. Op. Cit. P 351.

7- الأربوات الفوقاني والتحتاني يقعان على بعد 80 كلم جنوب غرب البيض، ويبعد 25 كلم عن الأبيض سيد الشيخ.

أوجد هذا الجد مكانة للعائلة بالمناطق الصحراوية حيث استطاع أن يحقق للعائلة حضوراً بين سكان المنطقة بين البربر والعرب⁸.

تواصل الحضور والنفوذ الديني عموماً للعائلة مع الجد 26 عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة الشهير " بسيدي الشيخ " ، ولد في بقصر الأربوات سنة 1533 ، وتوفي سنة 1616 ، ليدفن بقصر الأبيض بعد نقل جثمانه من موطن عرش ستيتن⁹.

أخذ مبادئ العلم من لغة وفقه ، وحفظ القرآن على يد شيوخ وفقهاء من بني عمومتة كأبي بكر ، وابن عمه سليمان بن أحمد ، كما أخذ المذهب الصوفي على يد الحاج بن عامر ، والشيخ عبد القادر الجبار ، وأحمد بن موسى الكرزازي ، والشيخ محمد بن عبد الرحمان السهيلي¹⁰.

هذا الأخير يعد من أكثر المعلمين الذين أثروا في شخصية عبد القادر بوسماحة لدرجة أنه سار على نهجه الصوفي ، فأوجد طريقة دينية صوفية هي امتداد لطريقة شيخه "الشاذلية" ، فهو كان مقدما بها¹¹.

وبصفة عامة وبحكم أن الطرق الصوفية تميزت بميزة أنها تأخذ عن بعضها البعض بالتوالي ، وكذلك بحكم الأسبقية في التأسيس يمكننا القول أن الشيخية كطريقة هي امتداد لمجموعة طرق صوفية كالقادرية ، والدقاوية ، والطيبية ، وبخاصة الشاذلية ، وفي هذا الصدد يشير أبو القاسم سعد الله في شرحه لهذا الانتماء المتعدد كون مؤسسها عبد القادر كان قادري الانتماء ثم أصبح مقدما للشاذلية بعد استقراره بين أحضان شيخه السهيلي ، كما أوصى لاحقا أتباعه إتباع تعاليم الشاذلية¹².

8-أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954). ج4. دار البصائر. الجزائر. 2007. ص ص 105-107.

9-Marth et Gouvion Edmand. Op . Cit. P 191.

- Trumlet. Les Français dans le desert . Challamel Ainé. Paris. 2édition. 1885. PP 82 -83.

10 - Cheikh Si Hamza « Un Soufi Algérien Sidi Cheikh ». Maisonneuve et Larose. Paris. 1999. P16.

11- أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص 103 ،

12- نفسه. ص 103 / Dépont Octave et Coppolani Xavier. Op. Cit. PP 477_478.

إذن أسس طريقته الدينية ، فأوجد لها تعاليمها وأورادها مستمدة أصلا من تعاليم وأذكار الشاذلية ، حيث فرض على أتباعه ترديد هذه الأذكار في وقت معين مع إضافة قراءة الفاتحة ثلاث مرات بعد كل صلاة كخاصية لازمة بطريقته. تولى تعليم هذه الأذكار شيوخ منتشرين بمختلف زوايا الشيعية سواء من عبيد عتقاء ، أو من الزوة ، نهيك عن إلزام الأتباع بدفع الغفارة كضريبة ولاء ديني للطريقة تقدم سنويا¹³.

استطاعت هذه العائلة ، وبفضل أصلها المرتبط أولا بالخليفة أبو بكر الصديق ، وثانيا بانتسابها للطريقة الشيعية بقيادة سيدي الشيخ ، الذي تمكن الجمع بين النفوذ الديني والسياسي ، فهو جمع بين قوة التصوف والتعبد وقوة السيف الأمر الذي انعكس على العائلة ومكانتها وجعلها تحظى بمكانة مرموقة بين القبائل الصحراوية والمغرب الأقصى ، وسمح لها أن تشكل كنفيدرالية ذات طابع سياسي ديني فرضت به نفسها على كل سلطة مركزية عرفتها الجزائر ، ومكنتها من التمتع بتلك السلطة والاستقلال الداخلي دون غيرها من القبائل ، مشكلة كيانا سياسيا ودينيا واجتماعيا¹⁴ ، والدليل على ذلك المواقف التي برزت بها في فترات مختلفة ومتواترة من النضال الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي خلال القرن 19 ، وكيف استطاعت أن تجعل لمستتها في المقاومة العسكرية بأشكال ومظاهر مختلفة حسب الظروف بين القيادة المباشرة للثورة وبين إبداء التعاون المتبادل في إطار الدعم والمساعدة سواء لثورات أعلنت من آخرين أو قامت بقيادتها.

2_ ثورات الطريقة الشيعية بالجنوب الغربي:

مباشرة بعد إرساء فرنسا على وضعها بالجزائر ، وإقرارها رسميا تحقيق الاحتلال الشامل والتام للجزائر ، شرعت في تحقيق ذلك عن طريق عملية المد والتوسع إلى مختلف المناطق بالشمال والجنوب سواء بالمدن والأرياف ، وبالطبع قوبل هذا المد بموقف شعبي تحت قيادة زعامات دينية من مرابطين وأشراف تحظى بالاحترام والتقدير بين السكان ، بحيث كانت المنقذ لهم في تحقيق طموحاتهم ، وهذا ما يفسر دورها الريادي في إعلان العمل العسكري والانقياد تحت لوائها دليل على المكانة الوجدانية والتأثير على الجماهير ، أي أن الأساس في النضال الوطني ومواجهة الاحتلال كان من منطلق وعي ديني روحي في إطار الجهاد أكثر من وعي بالقضية الوطنية ، مما يعني أن الانتماء للدين

- 13 نفسه. ص 108.

14- Trumlet. Op. Cit. P 82.

- Louis Rinn. Nos frontières Sahariennes à l'Ouest du DJBEL
Amour et Ouled Sidi Cheikh avant 1864 . RA. 1886. P 179.

الإسلامي كان الرابطة الاجتماعية القوية التي وحدت أفراد المجتمع عموماً أكثر من أي شعور آخر¹⁵.

لهذا نجد رجال الطرق الصوفية كان لهم دور إيجابي ومؤثر في قيادة الجماهير في الجهاد ضد الاستعمار، وما يبرر ذلك قيام العديد من الثورات في فترات متوالية ضد الوجود الفرنسي مؤكدة كلها على هدف واحد وهو نصر الدين الإسلامي والوطن، ونجد منها: القادرية، الطيبية، الشاذلية، والدرقاوية، السنوسية، والشيخية.

إذن لقد كان تزعم هذه الطرق للمقاومة في فترات مختلفة ووفق مبدأ الاستمرارية فضل في مواصلة النضال، وهو ما تقطن إليه الفرنسيون بعدما لمسوا التأثير الروحي لرجال الدين والذي أدى إلى توحيد القبائل ضدهم في عمل عسكري عرقل تحقيق مشروعهم الاستعماري¹⁶، ودفعهم إلى البحث في أسرار هذه الطرق الدينية كلف بها ضباط عسكريون والذين قاموا بالبحث ووضعوا تقارير دقيقة مكنتهم من قناعة واحدة ومشتركة مفادها أن "مختلف الانتفاضات عند القبائل والعرب التي واجهتنا في الجزائر قادها دائماً مرابطون حقيقيون أو مدعون"¹⁷.

ولعل من بين المرابطين الذين قادوا ثورات شعبية نجد أتباع وزعماء الطريقة الشيخية من خلال القيادة الجماعية لقبيلة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي، عبر ثورتي: الشراقة سنة 1864، والغرابية سنة 1881.

ولابد من الإشارة أن قبيلة أولاد سيدي الشيخ قبل أن يكون لها دور في قيادة النضال بالجنوب كانت ملاذاً للفرنسيين في مشروعهم التوسعي بالجنوب الغربي والصحراء عموماً، وهذا عندما وجدت صعوبة في التوغل للمنطقة عسكرياً وهذا بسبب أولاً الطبيعة الجغرافية، وثانياً طبيعة العنصر البشري لتلك المنطقة، فهي موطن لقبائل وعشائر

15 عبد السلام فيلالي. المرجع السابق. ص 119، ص 125.

16 حباش فاطمة. المكاتب العربية ودورها في المهد الاستعماري بالغرب الجزائري (1844-1870) " تيارت، سعيدة، البيض نماذجاً". أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة وهران. 2013/2014. ص 191.

17- من بين الضباط الذين كلفوا لأول مرة نجد الضابط دو نوفو بالشرق الجزائري سنة 1849، فكان سباقاً في البحث بحوثات هذا السند الروحي فبحث في أصول الطرق الصوفية محدداً عناصرها وتعاليمها، وأكد على وجود علاقة بين يوخ الطرق وزعماء المقاومة ودورها في تجنيد الرأي العام باسم الجهاد المقدس ضد الاستعمار. ينظر: دو نوفو. الإخوان. ترجمة كمال فيلالي. دار الهدى. الجزائر. 2003. ص 107.

شكلت كنفدراليات ذات نفوذ واستقلال داخلي متميزة بنفوذها الديني والعسكري والمادي ، وفي مقدمتها قبيلة أولاد سيدي الشيخ التي جمعت بين النفوذ الديني الروحي لانتمائها لسلالة أبو بكر الصديق ومن أتباع الطريقة الشيخية في آن واحد ، وتمتعت بالنفوذ المادي العسكري بموقعها الجغرافي في منطقة عرفت بتجارة القوافل ، وعليه فهي إذن مقومات جعلت من السلطة الاستعمارية تسعى إلى التواصل معها وتبني أسلوب المروعة في عرضها عن طريق التفاوض والتعاون مع الاحترام المتبادل للنفوذ ، وهو ما حدث فعلا في مطلع الخمسينات من القرن 19 واستطاعت فعلا فرنسا تحقيق تقدما في المنطقة وتتواصل مع قبائل الصحراء تجاريا وسلميا بدون عمل عسكري¹⁸.

غير أن أسلوب المروعة الذي اعتمدته السلطة الاستعمارية مع العائلات النافذة مؤقت فرضته ظروف المرحلة وتثبيت وجودها في المنطقة خاصة بعد الخسائر التي منيت بها في الشمال مع مقاومة الأمير عبد القادر ، لكن هذه السياسة بدأت في التخلي عنها تدريجيا ،

18- بادر الفرنسيون إلى اعتماد عامل " التفاوض " للتوغل في منطقة قصور الجنوب الغربي ، وشرعوا في عقد اتصالات مع أواخر 1849 ، فأرسلوا وفودا إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ الشارقة من مختلف الدوائر الإدارية القريبة من مجالهم كل من معسكر ، سعيدة ، وتيارت ، وعرضوا التعاون على زعيمها سي حمزة مع الالتزام بمبدأ الاحترام المتبادل ، ومن أهم هذه الوفود الوفد الذي أرسل من دائرة تيارت ، اختيرت عناصره بمهارة وعناية دقيقة ، ومنهم نجد: قدور ولد الحاج الصحراوي زعيم الأحرار ، ومولود بن عون الله ، محمد بن المعراج ، المعروف بن الحاج قدور ، إضافة إلى القاضي سي عبد القادر بن خالد ، التقى الوفد بالزعيم حمزة في يوم 1850/1/15 في بيت القايد العربي بن لعرج من حميان الشارقة ، وأفضى اللقاء بعد مد وجزر ومساومة إلى قبول هذا الأخير التعاون معهم في المنطقة مقابل عدم التدخل في مناطق نفوذه ، وعرض عليه الحضور شخصيا إلى تيارت تنويفا للتعاون وإثبات حسن النية تجاه فرنسا ، غير أنه تحفظ على العرض وتحجج بضرورة تدارس أمر التعاون بشكل معمق ومفصل مع بني عمومته من فرع الغرابة بقيادة الشيخ بن الطيب ، وفعلا عاد الوفد إلى تيارت في يوم 1850/1/17 محملا برسالة من سي حمزة إلى القائد الأعلى لتيارت.

عموما اتفقا الطرفان غير أن الحادث الذي وقع في اليوم الموالي ، ومحاولة قتل سي حمزة باستهدافه برصاصة أثر على الاتصالات ، وخيب طموحات الفرنسيين ، وجعل سير التفاوض بطيئا طيلة سنة 1850 ، لكنها في الأخير انتهت بالقبول ، والدليل ما جاء في جريدة المبعثر المؤرخة ب 1850/10/1 : "...أن الخليفة بعث هذه الأيام ولده بوبكر وأخاه النعيمي إلى سعادة والي الجزائر. وهذا Mobacher. N= 76 _ دليل على طاعته للدولة الفرنسية ، وأنه أحد الأصدقاء...". ينظر:

31/10/1850 / _ Trumlet. Op. Cit. P91. / _ Cheikh Si Hamza. Op. Cit. P149.

وبدأت معالم سياسة جديدة تظهر في الأفق للتعامل مع عائلات ذات النفوذ مع أواخر خمسينات ومطلع ستينات القرن 19، وهي سياسة " الإقصاء للزعامات الأهلية" والسعي للتخلص منها نهائياً¹⁹، وهو ما تعرض له أولاد سيدي الشيخ، من خلال سلسلة المضايقات والانتهاكات المتكررة في حق زعمائها على رأسهم سي حمزة بن بوبكر، سي الأعلى بن بوبكر، سي سليمان وغيرهم.... إلخ، إضافة إلى الحط من قيمة العائلة والتدخل في شؤون مناطق نفوذها، الأمر الذي جعل زعماء العائلة يصلون لقناعة مفادها أن سعي فرنسا لكسب ودهم مرحلي، وأنها تسعى للقضاء عليهم تدريجيا، والسيطرة على مناطق نفوذهم، وعندها كان الرد قويا على هذه السياسة في إطار الثورات الشعبية من خلال إعلان فرع الشراقة للقبيلة العصيان، والخروج عن السلطة الفرنسية وإعلان الجهاد لنصرة الدين، وعليه فهي تعد أول ثورة بقيادة الطريقة الشيخية بالجنوب الغربي.

اندلعت هذه الثورة سنة 1864 بعد إعلان زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة الخروج عن سلطة الفرنسيين بقيادة سي سليمان بن حمزة وعميه كل من سي الأعلى وسي الزبير نهيك عن إخوته²⁰، مما يعني أن القيادة جماعية باسم القبيلة تحت وصاية الطريقة الشيخية، تخلوا عن مناصبهم وشرعوا في التحضير والتنظيم لعمل عسكري ضد الفرنسيين بالجنوب²¹.

لاقت هذه الدعوة باسم الجهاد وتأطير صوفي إقبالا وانتشارا أولا بين القبائل التي تدين بالولاء للشيخية بالجنوب الغربي كل من الطرافي الرزائية، الأغواط الكسل، أولاد زياد، القراج، أولاد طيفور، الحساسنة.. إلخ ليمتد الدعم والولاء إلى قبائل أخرى منها قبائل منطقة ورقلة كالمخادمة والشعابنة، تحت إشراف سي الأعلى بن بوبكر، وفعلا كان اندلاعها قويا وناجحا بفضل التأثير الديني وزيادة الأتباع²².

استمر تأثير الثورة على الفرنسيين لاحقا خاصة مدها جغرافيا لمناطق خارج الجنوب الغربي، لتشمل وبفضل العامل الديني مناطق جديدة وتحظى بمساندة قبائل أخرى منها

- 19 حباش فاطمة. المكاتب العربية.... المرجع السابق. ص ص 186_187.

- 20 نفسه. ص ص 189_190.

21 -Trumlet. Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864. T1. Adolph Jourdan. Alger.1884 .PP 5_7.

- 22 حباش فاطمة. سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820-1896). مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة وهران. 2005/2004. ص ص 38_43.

بجنوب مقاطعة الجزائر بنواحي منطقة بوغار مع قبيلتي أولاد مختار وأولاد شايب²³، نهيك عن عمليات أخرى لحسابها بنواحي العمور، وحتى بنواحي ورقلة، والأكثر من ذلك أنها لم تقتصر على الجنوب فقط، بل امتد شمالا بفضل أتباع الطريقة الشيخية مستهدفة بذلك المصالح الفرنسية بنواحي الضاية جنوب سيدي بلعباس وسعيدة²⁴.

هنا يمكن القول أن العامل الديني أسقط الادعاء الفرنسي القاضي بالتقليل من قيمة هذه الثورات وربطها بأنها عصيان بسبب فقدان امتيازات مادية وسياسية، ورفعها إلى مصاف رد الفعل ذو البعد الوطني لنصرة المجتمع وإنقاذ هويته الإسلامية المهددة من قبل الاستعمار، وعليه فقد جسدوا مبدأ الإصرار الأول للجزائريين برفض الوجود الفرنسي منذ نزوله، والدليل تعدد العمليات العسكرية المستهدفة للفرنسيين وبقوة خاصة في الفترة الممتدة بين 1864 و1869 بقيادة متنوعة من أبناء أولاد سيد الشيخ: سي الأعلى بن بوبكر، سي الزبير بن بوبكر، سي محمد وسي أحمد أبناء حمزة بن بوبكر... الخ، نهيك عن عمليات بقيادة من أتباعهم²⁵.

قوة الثورة وحجم العمليات العسكرية الناجحة انعكس سلبا على السلطة الاستعمارية وولد لها حالة من هستيريا والاستنفار العام على مستوى المقاطعات الثلاث: وهران، قسنطينة، الجزائر، أدى في النهاية إلى تراجع ثورة الشراقة دون الاستسلام، مما يعني ذلك أن الطريقة الشيخية لم تتخل على دورها السياسي النضالي في المقاومة العسكرية بضعف ثورتها الأولى بل نجده استمر حسها في نفس المجال الجغرافي بتولي الفرع الثاني لقبيلة أولاد سيدي الشيخ "الغربة" القيادة من خلال الزعيم الشيخ بوعمامة²⁶، الذي

- 23 تدعت الثورة بأولاد مختار بقيادة شيخها بوديسة جنوب المدية، كما أعلنت قبيلة أولاد الشايب المتمركزة بقصر الشلالة ولأنها الديني وترجمته على أرض الواقع بعمليات عسكرية قادها زعيمها النعيمي ولد الجديد رفقة إخوته أبو بكر والمداح بن يوسف، حيث أقدموا على قتل القايد جلول بن مسعود في 15/4/1864، واستمرت مشاركتهم بالهجوم على المعسكر الفرنسي برأس العين قرب طاقين في 17 من نفس الشهر مما أسفر على قتل المئات من جنود الصابحية. ينظر: Trumlet. Le General Yusuf.T2. Paul Allendroff, Paris. 1890. PP 296- 297.

- 24 حباش فاطمة. سي الأعلى.....المرجع السابق. ص ص 54-65.

- 25 من بين الحملات العسكرية نجد: حملة فرندة 12 جويلية 1864، حملة طاقين 6 أوت 1864، التحرك نحور ورقلة الأول والثاني على التوالي 1 فيفري 1865، جانفي مارس 1866،...الخ. ينظر: فاطمة حباش. سي الأعلى.. المرجع السابق. ص ص 49-74.

- 26 هو محمد بن الشيخ بن الحرمة بن إبراهيم ابن التاج الشهير بأبي عمامة سليل عائلة أولاد الحرمة المنحدرة من أولاد سيدي التاج الإبن الثالث لسيدي الشيخ، ولد حوالي 1838 بفقيق في قصر الحمام الفوقاني، ومع 1875 استقر بالمغرار التحتاني بعد تركه فقيق. ينظر: إبراهيم مياسي. الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934). دار هومة، الجزائر. 2005، ص 272.

أصر على مواصلة مقاومة بني عمومته بقيادة دينية مع طريقتة الصوفية البوعمامية ، والتي هي في الحقيقة امتداد للشيخية ، حيث حافظ على أورادها وأذكارها ، وإضافة التشهد والاستغفار والصلاة على النبي وذكر الدعاء " يا لطيف وبوعمامة ضيف الله " كخصوصية لطريقته²⁷ .

عموما يمكن القول أن الشيخ بوعمامة بنشاطه بالجنوب حاول توحيد أولاد سيد الشيخ ، وفي نفس الوقت إحياء نفوذهم ومجدهم بالمنطقة بعدما حاولت فرنسا القضاء عليه وهذا تحت راية الرابطة الروحية والدينية للعائلة لمواصلة النضال وبلوغ الهدف بالتخلص من سلطة الكفار.

أعلن ثورته تحت تأثير ظروف عرفتها فترة الثمانينات منها انتشار فكرة الجامعة الإسلامية ، وإحياء الخلافة ، اندلعت سنة 1881 واستمرت حتى 1908 ، فقد بادر إلى استنفار القبائل الصحراوية ودعوتها عبر مراسلين إلى ضرورة مواصلة الجهاد ، فطلب منها التعبئة والدعم المادي والمعنوي ، وفعلا وجدت دعوته الصدى القوي أولا عند قبائل الجنوب الغربي وخاصة تلك التي كانت ضمن ثورة 1864 بقيادة الشراقة منها: الرزانية ، حميان الشراقة ، أولاد زياد ، الطرافي... إلخ ، وشاركته في عملياته العسكرية²⁸ .

وعندما نحاول استقراء هذا الدعم يمكن القول إنه بعدما عرفت المنطقة هدوء بعد ثورة الشراقة واضطرت القبائل الخضوع للفرنسيين عنوة ، بقيت تتحين الفرص لتجد ضالتها مع الشيخ بوعمامة للتعبير عن موقفها الرافض للسلطة الاستعمارية ، وفي الحقيقة هذا ليس بالأمر الجديد على القبائل الجزائرية لمسانه لأول مرة مع مقاومة الأمير عبد القادر عند اضطرت للاستسلام ما بين 1842 و1844 نجدها أعلنت العصيان في 1845 وانضمت لثورة الشريف بومعزة²⁹ .

عرفت ثورة بوعمامة تقريبا ما عرفته ثورة أولاد سيدي الشيخ الشراقة من مد وانتشار بعد انضمام قبائل من خارج المجال الجغرافي للجنوب الغربي ، مثلما هو الحال مع التوارق والمخادمة والشعانة والأحرار ، عين صالح وغيرها³⁰ ، أي نقول أن بوعمامة

- 27 أبو القاسم سعد الله . المرجع السابق . ص 108 .

- 28 إبراهيم مياشي . المرجع السابق . ص ص 274-278 .

- 29 حباش فاطمة . المكاتب العربية... المرجع السابق . ص 195 .

-30 عبد الحميد زوزو . ثورة بوعمامة (1881-1907) جانبها العسكري والسياسي . دار هومة الجزائر . 2013 . ص 125 ، ص 128 ، ص 134

- أبو القاسم سعد الله . الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900) . ج1 . دار الغرب الإسلامي . لبنان . ط1 . 2000 . ص ص 210-213 .

بنشاطه الثوري حاول إحياء من جديد نشاط الطريقة الشيعية في الجهاد ، وإعادة بعثها جنوباً وشرقاً وغرباً ، والدليل على ذلك عملياته العسكرية التي كانت تقريبا على نفس خطى الشراكة من خلال استهداف المصالح لاستعمارية كقطع خطوط التلغراف الرابط بين فرنده والبيض ، ومراكز الشركة الفرنسية الجزائرية للحلفاء ، وقتل العديد من المعمرين الأسبان بنواحي سعيدة ، نهيك عن مواجهة الجيش الفرنسي في معارك منها معركة سفيصة في 1881/4/27 ، ومعركة مويلك في 1881/5/19.³¹

إذن بهذا التحرك جسد على أنه خليفة سيدي الشيخ بقوته وتأثيره في المنطقة ، وأعطى لثورته بعد ديني جهادي مرتبط بالتصوف ، والورع ، وحب الوطن حاملا شعار نصره الوطن وإيقاف زحف للاحتلال جنوبا. وفي نهاية المطاف نصل إلى فكرة مفادها أن الطريقة الشيعية وبفضل ثورتها الشراكة والغربة من أولاد سيدي الشيخ أكدت على موقفها القيادي لنصرة القضية الوطنية وتضييع الفرصة على الاحتلال الفرنسي بالجنوب الغربي.

3_ دعم ومساندة الطريقة الشيعية للثورات الشعبية:

لم تقرض الطريقة الشيعية وجودها في النضال الوطني من خلال جانب واحد بإعلان أو قيادة ثورات شعبية ضد الوجود الفرنسي بالجنوب الغربي فقط خلال النصف الثاني من القرن 19 ، وإنما نلمس حضورها بشكل ونمط آخر تجسد في المواقف التي أبدتها زعماء قبيلة أولاد سيدي الشيخ من العمل العسكري لزعامات أخرى ، قادت الكفاح تحت وصاية طرق صوفية أخرى ، وهذا الموقف برز في فترات مختلفة سواء على عهد المقاومة العسكرية المنتظمة بقيادة الأمير عبد القادر في بداية الاحتلال أو في المرحلة الثانية مع فترة الثورات الشعبية ، فحضورها الديني والعسكري جعلها محط أنظار كل قيادات هذا العمل العسكري خاصة بمقاطعة وهران بشمالها وجنوبها ، وإذا حاولنا حصرها زمنيا في إطار مبدأ "الدعم والتعاون" نجد:

1_ برز أولا مع مقاومة الأمير عبد القادر ، هذا الأخير تسلم مشعل المقاومة الوطنية وفق نظام المبايعة والشورى وإجماع كل القبائل الغربية لترأسها باسم الجهاد ضد الخطر الأجنبي ، وما انجر عنه من حالة الفوضى التي عمت كل الأراضي الغربية في ظل غياب السلطة المركزية ، وفعلا تحقق ذلك في مبايعتين شرعيتين في 1832 و1833 ، حيث انطلق وفق مشروع توحيد القبائل تحت سلطة واحدة وشرعية ، وسعى إلى تحقيق ذلك

31- إبراهيم مياشي. المرجع السابق. ص ص 283-284 ، ص 291. / _ عبد الحميد زوزو. المرجع السابق. ص ص 20-24.

بدعوة القبائل للانضمام إليه رغبة أو عنوة خاصة في الشمال ، وهذا حتى يكون مشروعها النضالي ناجحا ضد الخطر الأجنبي³².

وهنا لابد من الإشارة أن الأمير عبد القادر وتحقيقا لهذه الوحدة وبحنكته العسكرية والسياسية أخذ بعين الاعتبار معيار النفوذ عند القبائل بين النفوذ العسكري المادي والنفوذ الديني لذا تباين تصرفه مع القبائل حسب طبيعة نفوذها ، وخير نموذج مع أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي حيث تعامل الأمير معها بنوع من الخصوصية تبعا لنفوذها الديني أولا ، وكذلك بعدها عن التل وتمركزها بقصور الجنوب الغربي ذات الموقع الاستراتيجي لدعم مقاومته في مراحل القوة والضعف ، أي الأمير لم يعهد إلى تبني سياسة الخضوع بالقوة أو المبايعة معها كما فعل مع قبائل التل ، وإنما تعامل معها بحكم قوة نفوذها الديني في إطار مبدأ التعاون والمساندة ، وإن صح التعبير الخضوع الاسمي³³ ، بحيث حاول كسب ودها روحيا وماديا وفق الاحترام المتبادل ، ومن الدلالة التي تؤكد على أنه حصل على مباركة من أولاد سيدي الشيخ بفرعيها الشراقة بقيادة حمزة بن بوبكر خاصة بعد وفاة الشيخ الغماري زعيم الأنقاد ، والغربة أبدوا الدعم وجسدوه بدفع الضريبة ولا يمكن اعتبار الضريبة تبعية رسمية لأن نسبتها محدودة ورمزية مقارنة مع ما فرضته على قبائل التل³⁴.

هذا المظهر يجسد دعم أولاد سيدي الشيخ وقبائل الجنوب عامة للأمير والاستفادة من المجال الجغرافي لمنطقة القصور أولا في التموين والتزود بالأسلحة ، وخاصة قبائلها كانت مشهورة بهذه التجارة منها أولاد سيدي الشيخ ، وثانيا حاول جعل المنطقة ملاذا له ولأتباعه في فترات تراجع المقاومة³⁵ ، وفعلا نلهمس ذلك في أربعينات القرن 19 ، ومع مجيء الجنرال بيجو حاكما عاما واستهدافه للأمير عسكريا في مدنه وحصونه وأتباعه ، مما انعكس سلبا على المقاومة وجعله في حالة مطاردة مع أتباعه ، وبذلك أصبحت قصور

- 32 عبد السلام فيلالي. المرجع السابق. ص ص 121-123.

- 33 حباش فاطمة. سي الأعلى...المرجع السابق. ص 2.

- 34 هنري تشرشل. حياة الأمير عبد القادر. تحقيق أبو القاسم سعد الله. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2004. ص 190.

- دوماس. الصحراء الجزائرية. ترجمة فندوز عباد فوزية. دار غرناطة للنشر والتوزيع. الجزائر. 2013. ص 313.

- 35 صاري الجيلالي. انتفاضة 1881/1882 " ملحمة الشيخ بوعمامة ". ترجمة بن تركي نصيرة. موفم للنشر والتوزيع. 2013. ص 32.

الجنوب ثغورا لاتباعه للاعتصام بها وهو ما حدث مع قبيلة الهشم الغرابة التي انسحبت ورفضت الخضوع الفرنسيين بعد حملتهم على معسكر في 1842/2/26.³⁶ رفضوا الاستسلام وولوا وجهتهم نحو الجنوب ، الأمر الذي جعل المنطقة تتعرض لحملات تأديبية ومطاردة ما بين 1845 و 1846 مما جعل قبائل المنطقة يدخلون في مواجهات مع الفرنسيين ويقصون المحاولات الأولى للفرنسيين في التوسع بالجنوب الغربي منها ما وقع لحملة الجنرال جيرى³⁷ الذي انطلق بها جنوبا من سعيدة في 1845/4/8 ، مستهدفا قصور الجنوب ، لكن حملته فشلت عند بلوغه بريزينة في 1845/4/30 حيث اعترض طريقة أولاد سيدي الشيخ الذين كانوا على ود مع الأمير عندما حاول المرور بمناطق نفوذهم ، تواجهها الطرفان في معركة انتهت بتشتت قوات أولاد سيدي الشيخ من جهة ، ومن جهة أخرى عودة الجنرال جيرى أدراجه شمالا بدون تحقيق نتيجة لصالح تثبيت الوجود الفرنسي هناك.³⁸

نلمس حضور أولاد سيدي الشيخ إلى جانب الأمير في مرحلة الضعف وتحديدًا بعد إبرام معاهدة لالة مغنية سنة 1845 بين السلطة الفرنسية والسلطة المغربية ، وكانت الغاية منها تصفية الأمير جهاديا ، وهي المعاهدة التي ترتبت عنها تشتت قبائل الجنوب الغربي بين سلطتين الفرنسية والمغربية ، وفعلا أثرت سلبا وبقوة على الأمير الذي أصبح مطاردة وتنقل بين القبائل الصحراوية ، والتي لم يعد بمقدورها دعمه منها أولاد سيدي الشيخ فبالرغم من استقباله من قبل زعمائها ومرابطها في أحلك فتراته ، وأبدوا التعاطف إلا أنهم عرضوا عليه في نفس الوقت وباحترام عدم تعريضهم لمشاكل تهدد نفوذهم ، وفعلا احترم الأمير رغبتهم للمحافظة على نفوذهم فخرج من أراضيهم.³⁹ عموما هذا الموقف الذي برز من زعماء أولاد سيدي الشيخ في فترات مختلفة وباحترام متبادل هو في الحقيقة تجسيد ضمنى لمدى تأثير العامل الديني في توحيد القبائل تحت لواء الجهاد متناسين فكرة الزعامة والنفوذ الفردي المحدود.

- 36 حباش فاطمة. المكاتب العربية..... المرجع السابق. ص 23.

37- الجنرال جيرى من مواليد 1795/7/16، يعد من أكثر الضباط ذكاء، حضى بتقدير من قبل الجنرال لامورسيير ، فقد تولى قيادة أول حملة استكشافية لمنطقة قصور الجنوب الغربي سنة 1845، وتمكن من الوصول إلى بريزينة، بعد وفاته أطلق اسمه على أول مركز عسكري أقيم هناك " جيرفيل ". ينظر: فاطمة حباش. سي الأعلى. المرجع السابق. ص 27.
38- نفسه. ص ص 31-32.

39- هنري تشرشل. المصدر السابق. ص ص 289-301. / - صاري الجيلالي. المرجع السابق. ص ص 33-37.

2_ تعدى دور الشيخية في المساندة النضالية إلى تعاون وقع بينها وبين الطريقة السنوسية في ثورتين الأولى بقيادة الشريف محمد بن عبد الله⁴⁰ في منطقة ورقلة سنة 1951 تحت تأطير سنوسي من الدعوات التي وجهها محمد بن علي السنوسي إلى أعيانها خاصة المرابطين لاحتواء بن عبد الله ، ودعمه في نشاطه الثوري بالصحراء⁴¹ ، وهو ما تحقق أين نصب سلطانا على ورقلة ، ولقى الدعم والتأييد من قبل قبائل وأعيان الواحات بورقلة ، ليتعدى أمر نشر ثورته وتوسيع نطاقها إلى التعامل والتعاون مع زعامات من طرق صوفية أخرى منهم سي الزبير من زعماء أولاد سيدي الشيخ ، حيث شاركه في عمليات عسكرية بورقلة ، وهنا يمكن إثارة مفارقة في دور الشيخية والتساؤل عن تباين موقفها بناء على موقف زعمائها فمن جهة نجد سي الزبير في فلك المقاومة بينما أخوته وبحكم مناصبهم في الإدارة الأهلية الفرنسية نجدهم أطراف مباشرة في ملاحقة بن عبد الله فسي حمزة بن بوبكر شارك في مطاردته من الأغواط حتى نواحي ورقلة وأجبر أتباعه على التخلي عنه سنة 1853 ، واستمر الموقف نفسه مع ابنه الذي خلفه بوبكر بن حمزة وهو الذي ألقى عليه القبض سنة 1861⁴² ، ولكن في نفس الوقت نجد مواقف أخرى من بعض أفراد العائلة والتي يمكن ادراجها في دعم الشيخية للثورة ، هذا بالإضافة إلى نقطة أخرى مهمة يستوجب التطرق إليها واستحضارها تتعلق بحالة الشك التي لازمت السلطة الاستعمارية في حق أولاد سيدي الشيخ بالرغم من الخدمات التي قدموها خاصة تجاه حمزة بن بوبكر واتهامه بالتعاون مع بن عبد الله سرا الأمر الذي جعله يتعرض للإقامة الجبرية بوهان سنة 1856⁴³ ، وعليه نقول حضور الشيخية في الثورة لم يكن علنا ومطلقا فقط وإنما تجسد في حضور ضمني وفي إطار فردي من خلال أدوار بعض أفراد العائلة من

40- الشريف محمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف من قبيلة روسل بنواحي عين تموشنت، عرف بعدائه للأمير عبد القادر وحاربه رفقة الشيخ مصطفى بن سماعيل بتلمسان، منحه الفرنسيون لقب السلطان بعد احتلال تلمسان، توترت علاقته مع الفرنسيين وقرر الجهاد سنة 1844، لذا سارعت السلطات الاستعمارية بإبعاده من الجزائر وإرساله للحج، أين نسق هناك أهدافه مع الجزائريين في الحجاز منهم محمد بن علي السنوسي، ليعود للجزائر لاحقا عبر الجنوب ويعلن ثورته بورقلة سنة 1851. ينظر: فاطمة حباش. المكاتب العربية...المرجع السابق. ص 137.

41- Charles Féraud. Ben djellabs sultanes Touggourt. RA. N = 38. 31 éme Année. 1886. P425.

42 - Trumlet. Les حباش فاطمة. سي الأعلى..... المرجع السابق. ص ص 21-23 / - 43-تروملي . الفرنسيون في الصحراء. ترجمة محمد المعراجي. دار غرناطة للنشر. الجزائر. 2013. ص

ص124 _ 125.

جهة ، ومن جهة أخرى دور بعض أتباعها من قبائل ورقلة والتي تحسب على ولائها الديني للشيخية على رأسها المخادمة.

يستمر التعاون الشيخي السنوسي تحت لواء الجهاد مرة أخرى مع ثورة الشيخ بوعمامة التي قامت على أساس الطريقة الشيخية ، وتأثرت بالدعوة السنوسية المنتشرة في أواخر القرن 19 بالصحراء ضد الاحتلال الأوربي للبلاد الإسلامية ، وهي الدعوة التي بلغت بوعمامة وتحمس لها وتأثر بها من خلال مقدميها بعين صالح ، وشجعه ليعلم ثورته باسم الشيخية ضد الاستعمار الفرنسي ، ليجسد بذلك عامل الاستمرارية للطريقة الصوفية بقيادة النضال بالجنوب الغربي بالرغم من فشل ثورتها الأولى ، وتحت تأثير الدعوة السنوسية للاستعمار الأوربي بالصحراء.

3_ لم يقتصر التعاون والمساندة بين الشيخية والطرق الصوفية الأخرى من خلال مشاركة أتباعها في ثورات أخرى ، وإنما تعدى الدعم إلى وجود تعاون لزعامات تنتمي إلى طرق صوفية أخرى مع أولاد سيدي الشيخ في نضالهم ضد الاستعمار بالجنوب الغربي ، ويظهر جليا في ثورتهم بقيادة فرع الشراقة سنة 1864 ، أين نلهم حضور قوي وفعلي لأتباع الطريقة القادرية من خلال أحد أبناء قبيلة الأربع بن الناصر بن شهرة الذي أعلن رفضه لسلطة الفرنسيين بالأغواط وقرر الخروج منها متجها جنوبا نحو ورقلة وانضم هناك إلى بن عبد الله وحمل معه لواء الجهاد حتى فشل ثورته سنة 1861⁴⁴ ، ومع اصراره على موقفه المعادي للفرنسيين لم يتوقف عن الجهاد بإلقاء القبض على الشريف بن عبد الله بل واصل حمل لواء الجهاد بالانضمام إلى أولاد سيدي الشيخ سنة 1864 بعد عودته من تونس ، فعقد اتصالات مع سي الأعلى المعسكر بنومرات أين كان يقوم بتنظيم قبائل الصحراء كل من الشعابنة والمخادمة للعمل المسلح⁴⁵.

بأدر بالمشاركة في الثورة رفقة سي الأعلى ورافقه في عملياته العسكرية لتوسيع نطاق الثورة وزيادة أتباعها منها: المشاركة في الهجوم على طاقين في 1864/8/6 ، أين تمكنوا من إخضاع قبائل منطقة العمور وبوغار ، واستمرت مساهمته بالمشاركة في الزحف على ورقلة سنة 1865 بهدف إعادة الحماس الثوري إلى منطقة ورقلة بوصاية شيخية ، وتأديب القبائل المناوئة هناك كقبيلة سعيد عتبة التي رفضت دعوة الجهاد⁴⁶.

- 44 حباش فاطمة . بن الناصر بن شهرة "زعيم الوحدة الوطنية جنوبا (1851-1874)". عصور الجديدة. ع 20/19. أكتوبر 2015. ص ص 300-301.
45- نفسه. ص 304.

- 46 حباش فاطمة. سي الأعلى... المرجع السابق. ص ص 51-52. / المبشر. أخبار القبلة. 22 أغسطس 1864. ع 432. ص 2.

يمكن تفسير تواجد بن الناصر بن شهرة مع زعماء أولاد سيدي الشيخ الشراقة رغم موقف زعيمها المتوفي حمزة بن بوبكر من محمد بن عبد الله وثورته ، والتي كان بن شهرة قائدا بارزا فيها على أن العامل الديني باتحاد الطرق الصوفية مع بعضها البعض دليل قاطع على دورها في إظهار طابع الوطنية وتوحيد القبائل في المقاومة ضد الاحتلال ، فهي جسدت مبدأ الوحدة الجغرافية باسم الجهاد والوطن لأجل تحقيق غاية واحدة ومشتركة عند الجميع هي الدفاع عن الوطن ونصرة الهوية الدينية للمجتمع الجزائري التي عاث فيها المحتل.

الخاتمة:

ربما النتيجة التي يمكن استخلاصها أن قبيلة أولاد سيدي الشيخ وبفضل مكانتها الدينية وارتباطها بالطريقة الشيخية التي استطاع مؤسسها أن يفرض احترامها على كل القبائل الصحراوية ، وليس الأتباع فقط ، دليل قاطع على تأثيرها سواء على العائلة التي استطاعت بفضل المحافظة على سلطتها الروحية والسياسية أن تفرض وجودها أمام أية سلطة مركزية بالجزائر ، ومكنتها من الدخول في تعاملات مختلفة مع قبائل في أعماق الصحراء وتحظى باحترام زعمائها نهيك عن احترام من سلطة المغرب الأقصى .

كل هذا تقطن له الفرنسيون ولمسوا فيه الخطر الذي يهدد مشروعهم بالجنوب مع نفوذ العائلة والذي أساسه ديني محض ، وعدم الثقة بها بالرغم من مساعي التودد الذي بادروا به لكسبها كعون لهم وتحقيق مشروعهم بالصحراء سلميا ، والتعامل مع باقي القبائل من خلالها ووساطتها ، لكن في نفس الوقت وضمينا كان هناك تضرر منها ووجوب الحذر في التعامل معها ، وضرورة التخلص منها على المدى البعيد ، وهو ما تجسد فعليا مع أواخر الخمسينات ومطلع الستينات من القرن 19 ، باعتماد سياسة استعمارية جديدة لحماية مشروعها الاستعماري ، تقضي بالتخلص من الزعامات الأهلية ونفوذها السياسي والديني على حد سواء بمختلف المناطق بالجزائر منها الجنوب الغربي وما وقع لقبيلة أولاد سيدي الشيخ من ضرر وتصفية ياقصائها انتهت كرد فعل منها على هذه السياسة إعلان الثورة في 1864.

ولعل من مظاهر سياسة الإقصاء نجد: محاولة قطع الصلة بين الطريقة الصوفية وأتباعها من مناطق مختلفة من إصدار قرار يقضي بمنع زعماء القيام بالزيارة السنوية لجمع الغفارة ، وهو ما كان محل احتجاج وشكوى في رسالة موجهة من حمزة بن بوبكر سنة 1856⁴⁷ ، إضافة إلى التنديد عبر شكاوي من تصرفات اتهام زعماء القبيلة بالانتهاكات

47 -A.N.O.M. 1J/155 . BP des affaires arabes . Au Sujet de khalifa Si Hamza. Alger. 8/6/1856.

المالية خاصة في حق سي الأعلى وسي سليمان وغيرهم ، واستمر الانتهاك المعنوي للقبيلة والسعي إلى الحط من قيمتها خاصة بعد إلغاء لقب الخليفة وتعويضه بلقب أقل قيمة منه "الباشاغا"⁴⁸ ، إضافة إلى التدخل المباشر في مناطق نفوذ القبيلة دون استشارة وعلم زعمائها ، واستمرت المحاربة وعلنا على إثر إعلان الثورة أين تعرض الزعماء للتصفية الجسدية كما هو الحال مع ابني حمزة كل من سليمان وأخوه محمد ، واستهدافهم في أملاكهم منها قرار المصادرة الذي كان سنة 1865 ، بلغ حجم الانتقام لدرجة استهداف قبة سيدي الشيخ من منطلق أنها المكان الروحي للعمل الثوري.

عموما هذه التصرفات العدوانية سواء قبل نشاطهم الثوري أو بعده دليل قاطع أن الشيعية كطريقة دينية صوفية اتخذت بعدا سياسيا وكانت من التأثيرين ضد الاحتلال بالرغم من وجود بعض زعمائها في وظائف إدارية بالإدارة الأهلية الاستعمارية.

قائمة الببليوغرافيا:

-المصادر:

- تروملي . الفرنسيون في الصحراء. ترجمة محمد المعراجي. دار غرناطة للنشر . الجزائر. 2013.
- تشرشل هنري. حياة الأمير عبد القادر. تحقيق أبو القاسم سعد الله. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2004.

- دو نوفو. الإخوان. ترجمة كمال فيلاي. دار الهدى. الجزائر. 2003.
- دumas. الصحراء الجزائرية. ترجمة قندوز عباد فوزية. دار غرناطة للنشر والتوزيع. الجزائر. 2013.

-المراجع:

- أبو القاسم سعد الله . الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900). ج1. دار الغرب الإسلامي. لبنان. ط1. 2000.

- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954). ج4. دار البصائر. الجزائر. 2007.
- زوزو عبد الحميد. ثورة بوعمامة (1881-1907) جانبها العسكري والسياسي. دار هومة الجزائر. 2013.
- صاري الجيلالي. انتفاضة 1881/1882 "ملحمة اليخ بوعمامة". ترجمة بن تركي نصيرة. موفم للنشر والتوزيع. 2013.

- فيلاي عبد السلام. الجزائر "الدولة والمجتمع". دار الوسام العربي. الجزائر. 2013.
- مياشي إبراهيم . الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934). دار هومة ، الجزائر. 2005.

-الدراسات الأكاديمية:

48- A.N.O.M. 1J/155 . GGA . Sub de Mascara. BG. Au Sujet de réclamation des genes d'Ourgla 20/06/1860.

- Maurice Wahle. L'Algérie . Librairie bailliére Cie. Paris. 1882. P 240.

- حباش فاطمة. المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري (1870-1844) " تيارت ، سعيدة ، البيض نماذج". أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة وهران. 2014 / 2013.

- حباش فاطمة. سي الأعلى بن بوبكر. القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820-1896). مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة وهران. 2005/2004.

المجلات العلمية:

- حباش فاطمة . بن الناصر بن شهرة " زعيم الوحدة الوطنية جنوبا (1874-1851). عصور الجديدة. ع 20/19. أكتوبر 2015.

المصادر الأجنبية:

الوثائق الأرشيفية:

_ A.N.O.M. 1J/155 . BP des affaires arabes . Au Sujet de khalifa Si Hamza. Alger. 8/6/1856.

_ A.N.O.M. 1J/155 . GGA . Sub de Mascara. BG. Au Sujet de réclamation des genes d'Ourgla 20/06/1860.

الكتب:

_ Dépont Octave et Coppolani Xavier. Les confréries religieuses musulmans. Adolph Jourdan. Alger. 1897.

_ Rinn Louis. Marabouts et Khouans. Adolph Jourdan. Alger. 1884.

_ Trumlet. Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 . T1. Adolph Jourdan. Alger. 1884.

_ Trumlet. Le General Yusuf. T2. Paul Allendroff, Paris. 1890.

_ Trumlet. Les Français dans Ir desert . Challamel Ainé. Paris. 2^e édition. 1885.

_ Wahle Maurice. L'Algérie . Librairie bailliére C^{ie}. Paris. 1882.

الجرائد والمجلات العلمية:

_ Mobacher. N= 76. 31/10/1850 _ N= 432 . 22/8/1864

_ Féraud Charles. "Ben djellabs sultanes Touggourt". RA. N = 38. 31^{ème} Année. 1886.

_ Rinn Louis. "Nos frontiérs Sahariennnes à l'Ouest du DJBEL Amour et Ouled Sidi Cheikh avant 1864" . RA. 1886.

المراجع:

_ Cheikh Si Hamza .« Un Soufi Algérien Sidi Cheikh ». Maisonneuve et larose. Paris. 1999.

_ Marth et Gouvion Edmand. Kitabs Ayane el maraghariba. Imprimerie Orientale Fantana. ALger. 1920.